طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم الجمحيّ (139-232هـ): القضايا النقدية والمنهج

Tabakat fouhoul e-chouaaraa by Ibn Sallam Al-Joumahi (139-232 H): Critical Issues & curriculum

الدكتور محمد برحو

باحث في علم المصطلح النقدي

Mohammed064123@gmail.com

خريج كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة – المغرب

تاريخ الإرسال: 2019/12/23 تاريخ القبول:2020/02/12 تاريخ النشر: 2020/05/02

ملخص المقال:

يهدف هذا المقال إلى تقديم قراءة نقدية في كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلاّم الجمحيّ من خلال إثارة نقطتين اثنتين: تخص الأولى بحث أهم القضايا النقدية في الكتاب؛ وتهم الثانية معالجة المنهج النقدي ومعاييره الفنية، وتم التركيز فيها على المقاييس النقدية التي تمّ الاستناد إليها في تصنيف الطبقات، والأسس التي اعتُمدت في تحديد الطبقة وشعرائها. وأُتبع ذلك بدراسة منهج رواية الأشعار والأخبار، وبعض إشكالات الكتاب وقيمته النقدية.

الكلمات المفاتيح: طبقات فحول الشعراء؛ ابن سلاّم الجمحيّ؛ القضايا النقدية؛ المنهج النقدي.

Abstract: The aim of this article is to provide a critical reading of Ibn Salam Al-Jumhi's "Layers of the Poets" by raising two points: the first concerns the critical issues in the book; the second concerns the critical approach and its technical criteria, this latter casts the spotlight on the critical standards on which the classification of classes was based, and the foundations adopted in the determination of the class and its poets. This was followed by a study of the method of narration of poems and news, and some of the problems of the book and its critical value.

Key words: Layers of the Poets; Ibn Salam Al-Jumhi's; critical issues; the critical approach.

يُمثل كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلاّم الجمحيّ (139-232هـ) البداية الحقيقية للنقد الأدبي المنظم عند العرب؛ إذ تمّ فيه تخصيص النقد بدراسة مستقلة بعد أن بقي مدة طويلة في صورة أحكام جزئية مبعثرة في المصادر الأدبية، تُستخرج من المفاضلة بين بيت وبيت، أو شاعر وآخر؛ فخرج كتاب الطبقات ليعطينا خلاصة ما انتهى إليه الذوق العربي المثقف في مجال النقد الأدبي، ويُؤسس اتجاها جديدا نحو التفسير والتعليل.

ويضم هذا المصدر النقدي والأدبي آراء نقدية مهمة تتسم بأصالة الرؤية وعمقها واتساعها، تحتاج في نظرنا إلى مزيد من الدرس والتحليل من زوايا مختلفة وبرؤى متجددة، لأن مجال القول فيها لا يزال متسعا، رغم القراءات المتعددة التي قام بها الدارسون والباحثون.

وسنحاول في هذا المقال بحث أهم القضايا النقدية في الكتاب، والوقوف على خصوصيات المنهج وضوابط النقد ومعاييره الفنية، من خلال تحديد المقاييس النقدية في تصنيف الطبقات، واستكناه الأسس الفنية والجمالية في تحديد الطبقة؛ وسنتبع ذلك بدراسة منهج الرواية، والإشارة إلى بعض إشكالات الكتاب، وقيمته النقدية.

- **التعريف بابن سلاّم الجمحيّ.**

هو مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَّمِ بْنِ عُبَيْد اللهِ بْنِ سَالِمٍ الجُمَحِيُّ البَصْرِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ مولى قدامة بن مظعون الجمحيّ[1]، ولد بالبصرة سنة 139هـ، وتوفي ببغداد سنة 232هـ، وقيل "توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين"[2]. "أحد الإخباريين والرواة"[3]، كانت نشأته في بيت علم وثقافة، فأبوه سلاّم بن عبد الرحمان راوية أدب وأحد رواة الحديث، روى عنه ابنه في مواضع كثيرة من كتابه، وكان أخوه عبد الرحمان راويا للحديث كذلك. سمع ابن سلاّم شيوخَ العلم والحديث والأدب، وسمع منه شيوخُ العلم والحديث والأدب[4]. وذكر محمد بن إسحاق النديم في الفهرست أن ابن سلاّم ألف من الكتب "كتاب الفاضل في ملح الأخبار والأشعار، كتاب بيوتات العرب، كتاب طبقات الشعراء الجاهليين، كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين، كتاب الحُلاب وأجراء الخيل"[5]؛ وقال ياقوت في معجم الأدباء: "وألف كتاباً في 'طبقات الشعر'، وله 'غريب القرآن' "[6].

عاش ابن سلاّم معظم حياته بالبصرة، وعاصر الرعيل الأول من علمائها وأدبائها ورواتها، تربى في بيئتهم وعلى أذواقهم، وخاض فيما خاضوا فيه، واستوعب كثيرا من آرائهم وأقوالهم في الأدب والنقد.

- **التعريف بالكتاب.**

يُعد كتاب "طبقات فحول الشعراء" من أوائل الكتب النقدية التي ألّفتها الذهنية العربية في مجال نقد الشعر والشعراء، إذ تضمن حصيلة معرفية مهمة في الأدب والنقد والأخبار، تهم بالخصوص ما قيل إلى عهد مؤلِّفه في الشعراء الجاهليين والإسلاميين وشعرهم.

وينقسم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول المقدمة، مهّد فيها ابن سلاّم لحديثه عن الشعراء، وأثار جملة من القضايا، وأبان عن منهجه في التأليف. والقسم الثاني هو الشق التطبيقي الذي مارس فيه أفكاره النقدية.

أولا. أهم القضايا النقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء.

تضمنت مقدمة الطبقات مجموعة من القضايا تأسست من خلالها العملية النقدية عند ابن سلاّم، فهو لم يستطع أن يخطو خطوة واحدة في طبقاته قبل أن يبحث في قضية الشعر الموضوع، ويفصّل في أسبابها؛ كما أفرد حديثا خاصا عن أهمية الناقد، ونشأة الشعر عند العرب وتحوله، وأصول بعض العلوم، والشعر والأخلاق وغيرها من القضايا المهمة.

1- الوضع والنحل والانتحال[7].

تعد قضية الشعر الموضوع أبرز قضية نقدية عالجها ابن سلاّم في كتابه، وكان هدفه من ذلك تخليص الشعر مما علق به من شوائب، وما أضيف إليه من مصنوع مفْتَعل.

أشار ابن سلاّم إلى مكانة الشعر عند العرب واهتمامهم به؛ يقول: "وكان الشعرُ في الجاهليّة عند العربِ ديوَانَ علمهم ومُنْتَهَى حُكْمهم، به يأخذون، وإليه يَصِيرون... قال عمر بن الخطّاب: 'كان الشعرُ علم قَومٍ لم يكن لهم علمٌ

أصحُّ منه' "[8]. ونقل في مكان آخر كلمة أبي عمرو بن العلاء: "قال يونُس بن حبيب: قال أبو عمرو بن العلاء: ما انتهي إليكم ممَّا قالتِ العربُ إلاّ أقلُّه، ولو جَاءكم وَافِراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثيرٌ"[9].

واستدل ابن سلاّم على انقطاع الرواية وذهاب كثير من الشعر خاصة شعر الفحول بما بقي لطرفة بن العبد وعَبيد بن الأبرص، فهما مقدمان مشهوران، والمروي لهما عند المصححين قليل؛ يقول: "ومما يدلُّ على ذَهَاب الشعر وسقوطِه، قلَّةُ ما بقي بأيدي الرُّواة المصَحِّحين لطرفةَ وعَبيدٍ، اللَّذين صحَّ لهما قصائدُ بِقَدْرِ عشرٍ"[10].

رأى ابن سلاّم ببصيرة الناقد أن ثمة شعراً موضوعا وضعه بعض الرواة ونسبوه إلى بعض الشعراء، وهو خال من أي جمالية من جماليات الشعر؛ يقول: "وفي الشعر مصنوعٌ مُفتعَلٌ موضوعٌ كثير لا خيرَ فيه، ولا حُجَّةَ في عَرَبِيَّةٍ، ولا أدبٌ يستفاد، ولا معنًى يُستخرج، ولا مَثَلٌ يُضْرب، ولا مديحٌ رائع، ولا هجاءٌ مُقْذِعٌ، ولا فخرٌ مُعْجِبٌ، ولا نسيبٌ مُسْتطرَفٌ. وقد تداوله قومٌ من كتابٍ إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يَعْرِضوه على العلماء"[11].

وضرب لذلك مثالا بحَسّان بن ثابت الذي كان "كثير الشّعر جيّده، وقد حُمل عليه ما لم يُحمل على أحَدٍ، لما تَعاضَهتْ قريش واسْتَتبَّتْ، وضَعوا عليه أشعاراً كثيرةً لا تُنَقَّى"[12]؛ و"كان أبو طالب شاعراً جيِّدَ الكلام، وأبرعُ ما قال قصيدته التي مدح فيها النبيَّ صلى الله عليه – وسلم – :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِه *** ربيعُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ

وقد زِيدَ فيها وطُوِّلت"[13].

وكان للفتوحات الإسلامية أثر كبير في بروز هذه القضية وتفاقمها؛ يقول ابن سلاّم: "فجاء الإسلامُ، فتشاغَلَتْ عنه العربُ، وتشاغلوا بالجهاد وغَزْوِ فارسٍ والرُّوم، ولَهَتْ عن الشعر وروايته. فلما كَثر الإسلامُ، وجاءتِ الفتوحُ، واطمأَنّتِ العربُ بالأمْصار، راجَعوا روايةَ الشِّعر، فلم يَؤُولُوا إلى ديوانٍ مُدَوَّنٍ ولا كتابٍ مكتوبٍ، وأَلْفَوْا ذلكَ وقد هلكَ من العرب مَنْ هلك بالموت والقتل، فَحفِظوا أقلَّ ذلك، وذهبَ عليهم منه كثيرٌ"[14].

لقد حمل الإسلام إلى الناس رسالة يجب تبليغها، وكان أن اختار الله سبحانه وتعالى العرب في شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فوضعت العرب الشعر جانبا، فلما اطمأنوا في الأمصار، عادوا إلى ديدنهم في الشعر، فلم يجدوا ديوانا مكتوبا احتفظ لهم بالأشعار؛ فكانت كل قبيلة ضاعت أشعارها تحاول اختلاق أشعار جديدة لتعوض ما ضاع منها. وهنا تبرز العصبية القبلية بوصفها واحدة من الأسباب التي أدت إلى الكذب والوضع والتزيد في الأشعار؛ يقول ابن سلاّم: "فلما رَاجعتِ العَرَبُ رِواية الشعر، وذِكْرَ أيامها ومآثِرِها، استقلَّ بعضُ العشائر شِعْر شُعَرائهم، وما ذَهَبَ من ذِكْر وقائعهم. وكان قومٌ قلَّت وَقَائِعُهم وأشعارُهم، فأرادُوا أن يلحَقوا بمَنْ له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنةِ شُعرائهم. ثم كانت الرُّواةُ بعدُ، فزادوا في الأشعار التي قيلت. وليس يُشكِل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولَّدون، وإنما عَضَّلَ بهم أن يقولَ الرجلُ من أهل البادية من ولَدِ الشُّعراء، أو الرجلُ ليسَ من ولَدِهم، فيُشْكل ذلك بعض الإشكال"[15].

فمن جهة أولى نجد العصبية القبلية التي شجعت على وضع الأشعار واختلاقها بغية الظهور أمام القبائل الأخرى، ومن جهة ثانية نجد الرواة؛ ويأتي محمد بن سلاّم بمجموعة من الرواة الوضاعين أبرزهم محمد بن إسحاق بن يَسَار، وحمَّاد الرّاوية؛ يقول في الأول: "وكان مِمَّن أفسد الشعرَ وهجَّنهُ وحمل كل غُثَاءٍ منه، محمد بن إسحاق بن يَسَار... وكان أكثر علمه بالمغازي والسِّيَر وغير ذلك – فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، أُتِيَنا به فأحمله. ولم يكن ذلك له عذراً، فكتب في السِّيَرِ أشعارَ الرجال الذين لم يقولوا شعراً قطُّ، وأشعارَ النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلَّف معقودٌ بقوافٍ"[16]. ويمضي ابن سلاّم في اتهام ابن إسحاق بالغفلة فيقول:" أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حملَ هذا الشعر؟ ومن أدَّاه منذ آلاف من السنين، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الذِينَ ظَلَمُوا﴾[17]* أي لا بقيَّة لهُمْ، وقال أيضا: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى وَثَمُوداً فَمَا أَبْقَى﴾[18]*، وقال في عادٍ: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[19]*، وقال: ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾[20]*، وقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وثَمُودَ والذِينَ مِنْ بَعْدِهِم لاَ يَعْلَمُهُم إلاَّ اللهُ﴾[21]* "[22]. ويقول في الثاني: "وكَان أَوَّلَ من جَمَعَ أَشعارَ العرب وساق أحاديثها: حمَّادٌ الرّاويةُ، وكان غيرَ موثوقٍ به، وكان ينحَل شِعْرَ الرجُلِ غيرَه، ويَنْحله غيرَ شعره، ويزيدُ في الأشعار"[23]. وقال فيه أيضا: "أخبرني أبو عبيدة، عن يونس، قال: قَدِمَ حمّادٌ البَصْرَةَ على بِلال بن أبي بُرْدَة وهو عليها، فقال: أَمَا أطْرَفْتَني شيئاً! فعادَ إليه فأنشدَه القصيدةَ التي في شعر الحطيئة مديحَ أبي موسى، قال: ويحك! يمدحُ الحطيئةُ أبا موسى لا أعلم به، وأنا أروي شعرَ الحطيئة؟! ولكن دعها تذهب في الناس"[24]. بالإضافة إلى هذين الراويتين ذكر ابن سلاّم نماذج أخرى من الرواة الوضاعين منهم ابن مُتَمِّم بن نُوَيْرة[25] وخلاَّد بن يزيد الباهليّ[26]. ويضيف ابن سلاّم إلى ما سبق ذكره عاملا آخر هو اللين في الشعر؛ يقول: "وعديُّ بن زيدٍ كان يسكُنُ الحِيرَة ويُراكِنِ الرِّيف، فَلانَ لسانُه وسَهُل مَنْطِقُه، فحُمِل عليه شيء كثيرٌ، وتخليصُه شديدٌ. واضطرَب فيه خَلَفٌ (الأحمر)، وخلَّط فيه المفَضَّل فأكثر"[27].

ومن الظواهر التي سجلها ابن سلاّم كذلك في طبقاته الانتحال في الشعر، وهو مرتبط بالشعراء أنفسهم، فمنهم من كان يدعي شعر غيره ويسطو عليه وينسبه لنفسه؛ يقول في الطبقات: "كان قُرَاد بنُ حَنَشٍ من شُعَراء غَطَفَان، وكان قَلِيلَ الشِّعْرِ جَيِّدَهُ، وكانت شُعَراء غطفان تُغِيرُ على شِعْرِه فتأخُذُه فَتَدَّعِيه، منهم زهَير بن أبي سُلْمَى"[28].

وهذه الأسباب التي عرضها ابن سلاّم وجيهة إلى حد كبير، نتبيّن من خلالها الدقة النقدية في العرض، والشرح المدعم بالحجة والبرهان الذي لا يرقى إليه الشك.

لقد جعل ابن سلاّم أساس قبول الشعر الرواية الصحيحة الصادرة عن أهل العلم الذين لهم القدرة على إدراك صحيح الشعر من زائفه؛ ويقصد بأهل الرواية الصحيحة من عُرف عنهم ذلك، واعتَمد عليهم في كتابه؛ وقد أحصى محمود محمد شاكر في مقدمته شيوخ ابن سلاّم الذين روى عنهم في الطبقات، وعدّتهم تسعة وسبعون شيخاً، نذكر منهم: الأصمعيّ (عبد الملك بن قُرَيْب)، وبشّار بن بُرْد، وخَلَف الأحمر، وسلاَّم بن عُبَيْد الله الجمحيّ (أبوه)، وسِيبويه،

وأبو عبيدة (مَعْمَر بن المثنَّى)، ومُعاوية بن أبي عمرو بن العلاء، والمفضَّل بن محمّد الضبي الكوفيّ، ويونس بن حَبيب، وغيرهم[29].

لقد ألح ابن سلاّم على ضرورة تخليص الشعر مما علق به من زيف وكذب، واتسمت معالجته للظاهرة بمنهج علمي فيه كثير من الدقة والتفصيل والتحليل والاستدلال، على عكس معالجات معاصريه أو سابقيه التي لم تتجاوز حدود البحث عندهم العبارة المركزة والإشارة الخاطفة.

2- الناقد.

كان ابن سلاّم من أوائل من نص على استقلال النقد الأدبي، إذ أكد أن النظر في الشعر مجال تخصصي قائم الذات؛ يقول: "وللشعر صَنَاعة وثَقَافةٌ يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصَّناعات: منها ما تَثْقَفُه العين، ومنها ما تَثْقَفُه الأُذُنُ، ومنها ما تَثْقَفُه اليد، ومنها ما يَثْقَفُه اللسان. من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفةٍ ولا وزن دون المعاينة ممن يُبْصِره؛ ومن ذلك الجَهْبَذَةُ بالدِّينار والدِّرهم، لا تُعرَف جَوْدتُهما بلونٍ ولا مَسٍّ ولا طِرازٍ ولا وَسْمٍ ولا صفة، ويعرفه الناقدُ عند المعاينَة، فيعرفُ بَهْرَجها وزائفها وَستُّوقها ومُفْرَغَها"[30].

أفرد ابن سلاّم للناقد وظيفة خاصة، ووضع أحكاما واضحة في من هو الجدير بنقد النتاج الأدبي، أهمها الدربة والمدارسة التي تهذب الذوق وتسهم في تحديد مواقع الجمال في الشعر؛ يقول: "إن كثرة المدارسة لتُعْدِي علي العلم به. فكذلك الشعر يعلمهُ أهل العلم به"[31].

وتحدّث كذلك عن أهمية عمل الناقد، من ذلك ما رواه لخلف الأحمر حين اعترض على متكلم في الأدب بالقول: "قال قائل لخلف: إذا سمعتُ أنا بالشعر أستحسنُهُ فما أبالي ما قلتَ أنت فيه وأصحابك. قال: إذا أخذت درهماً فاستحسنته، فقال لك الصَّرَّاف: إنه رديء! فهل ينفعك استحسانُك إيّاه؟"[32].

فهو يرفض مبدأ الذوق من غير الاستناد إلى الثقافة الأدبية والقدرة الفنية في الحكم على الشعر. فالشعر ثقافة وصناعة، لا يستطيع معرفته والحكم عليه إلا أهله الذين رسخت درايتهم به؛ وذلك ما يُعين على غربلة الأشعار والتمييز بين جيدها ورديئها وتنقيحها مما لحقها من شعر موضوع.

3- نشأة الشعر وتحوله بين القبائل.

تناول ابن سلاّم موضوع نشأة الشعر العربي، في محاولة منه للتعرف إلى حركة تطوره وصيرورته؛ وكان هدفه من هذه الدراسة هو توثيق ما بين يديه من شعر وُضع ونُسب إلى أقوام كعاد وثمود... وبدا له أثناء البحث أن الصورة الأولية للشعر العربي بدأت بأبيات قليلة، وهذا النمط من القصائد الطويلة وشكلها المتطور حديث العهد، لم يُعرف إلا على عهد عبد المطّلِب وهَاشِم؛ يقول: "ولم يكن لأَوَائل العرب من الشِّعْرِ إلاَّ الأبيَات يقولها الرَّجُل في حَاجَته، وإنَّما قُصِّدت القصائدُ وطُوِّلَ الشِّعْرُ على عَهْد عبد المطَّلِبِ، وهَاشِم بن عبد مَنَاف. وذلك يدلّ على إسقاط شعرِ عادٍ وثمودَ وحِمْيَرَ وتُبَّع"[33].

لقد بدأ شعر الجاهلية أول ما بدأ في قبيلة ربيعة، "وكان شُعَراء الجاهلية في ربيعةَ: أَوَّلُهم المهَلْهِل، والمرقِّشان، وسَعدُ بن مالك، وطَرَفةُ بن العَبْد، وعمرو بن قَمِيئَة، والحارث بن حِلِّزَةَ، والمتلمِّس، والأعشى، والمسَيَّبُ بن عَلَس"[34]؛ وبيّن ابن سلاّم علة بدء الشعر في ربيعة لأن منهم المهَلْهِل الذي يعزى إليه تطور القصيدة العربية ووصولها إلى شكلها النهائي؛ يقول: "وكان أَوَّلَ من قصَّد القَصائد وذكَرَ الوقائع، المهَلْهِلُ بنُ ربيعة التَّغْلَبِيُّ في قتل أخيه كُلَيْبِ وائلٍ"[35].

ثم تحول بعد ذلك في قيس، "فمنهم: النابغةُ الذبياني.... ولَبِيدٌ، والنابغةُ الجعْدِيّ، والحُطَيئَة، والشَّمَّاخُ، وأخوه مُزَرِّد، وخِداش بن زُهَيْر"[36]؛ وكما لم يبق الشعر في ربيعة لم يستمر في قيس، إذ "آل ذلك إلى تميم، فلم يزلْ فيهم إلى اليوم"[37].

وما يمكن قوله في هذا السياق إن تحديد أولية الشعر العربي بشكل دقيق أمر يصعب البت فيه، غير أن ما يمكن تأكيده أن بداية الشعر الجاهلي ضاربة في القدم، وهذه الفكرة تداولها الشعراء المتأخرون في الزمن أنفسهم؛ فامرؤ القيس – مثلا – أكد أن بداية الشعر سابقة على زمنه، وأنه سار في طريق معبد مسلوك[38]، ما يثبت أن الشعر قبله كانت له تقاليده المرعية وأساليبه المعروفة وشكله المحدد. ولعل الذي رام إليه ابن سلاّم من البحث في أولية الشعر ما وصل إلينا من شعر بالرواية الراجحة الموثقة، وليست الأولية المطلقة، أي أولية الموجود بالفعل الذي تناقله الرواة واتفق عليه أهل العلم والدراية وأجمعوا على صحته.

4. التأريخ لبعض العلوم.

حاول ابن سلاّم أن يؤرخ لنشأة النحو العربي، إذ تحدث عن البصرة وسبقها في هذا المجال، وتتبع جهود علماء العربية، وأشار إلى ما يميز كل واحد منهم؛ يقول: "وكان لأهل البصرة في العربية قُدْمَةٌ، وبالنحو ولُغاتِ العَرَب والغريب عنايةٌ. وكان أوّلَ من أسَّسَ العربيةَ، وفَتَح بابَها، وأنْهَجَ سبيلَها، ووَضع قياسَها: أبو الأَسْود الدُّؤَلِيّ... وكان ممن أخذَ عنه يحي بن يَعْمَر... ثم كان من بَعْدهم عبدُ الله بن أبي إسحاقَ الحَضْرَميُّ، وكانَ أوَّلَ من بَعَجَ النحوَ، ومدَّ القياسَ والعلَل. وكان معه أبو عمرو ابن العلاء، وبقي بعده بقاءً طويلاً. وكان ابن إسحاق أشدَّ تجريداً للقياس، وكان أبو عمرو أوسعَ علماً بكلامِ العرب ولُغاتِها وغريبها... وكان عيسى بن عُمَر أخذ عن ابن أبي إسحاقَ، وأخذ يونس عن أبي عمرو بن العلاء، وكان معهما مَسْلَمة بن عبد الله بن سعد بن مُحارِبٍ الفِهْريّ"[39].

وعرض ابن سلاّم كذلك مسوغات نشأة النحو العربي والحاجة إليه، والدواعي التي دفعت العلماء إلى التفكير فيه، ومن أبرزها ذلك الخلل والاضطراب الذي أصاب اللغة وبدأ يهددها إثر تفشي ظاهرة اللحن؛ فأبو الأسود الدؤلي إنما فعل ذلك "حين اضطرب العرب، فغَلَبَتِ السّليقيَّةُ، ولم تكن نحويَّة، فكان سَرَاةُ الناس يلحَنُون، ووجوهُ الناس"[40].

وقد أدرك ابن سلاّم قانون التطور والارتقاء، فلكل عصر ميزاته، والجيل اللاحق إنما يأخذ عن الجيل السابق ويضيف؛ يقول في الطبقات: "سمعتُ أبي يسألُ يونسَ عن ابنِ أَبي إسحاق وعلمِهِ قال: هو والنَّحْوُ سواءٌ، أيْ هو الغايةُ. قال: فأين علمُه من علم الناس اليومَ؟ قال: لو كان في الناس اليومَ مَنْ لا يعلمُ إلا علمَه يومئذٍ، لضُحِكَ به، ولو كان فيهم من له ذِهنُهُ ونَفَاذُه، ونَظَرَ نَظَرَهُمْ، كانَ أعلمَ النّاسِ"[41].

وعرض ابن سلاّم أيضا بعض المطارحات اللغوية التي كانت تدور بين علماء البصرة والكوفة، كما عرض وجوه القراءات واختلاف اللهجات... وأشار في إيجاز إلى ابتداع الخليل بن أحمد للعروض؛ يقول: "ثم كانَ الخليل بن أحمد... فاستخرج من العروض، واستنبط منه ومن عِلَله ما لم يستخرج أحدٌ، ولم يسبقْه إلى مثله سابقٌ من العلماء كلِّهم"[42].

5- الشعر والأخلاق.

لم يفت ابن سلاّم أن يقسم الشعراء الجاهليين من وجهة نظر أخلاقية، يقول في تأريخه وتوثيقه لاتجاهات الشعر الخلقي في الجاهلية: "فكان من الشعراء من يتألَّه في جاهليته ويتعفَّف في شعره، ولا يَسْتَبْهِر بالفواحش، ولا يتهكَّم في الهجاء... ومنهم من كان يَنْعَى على نفسه ويتعهَّرُ"[43]، ووضع على رأس هؤلاء الشعراء امرأ القيس والأعشى[44]؛ وأضاف إليهما الفرزدق من الإسلاميين، "وكان الفَرَزْدَقُ أقْوَلَ أهل الإسْلام فِي هذَا الفنّ"[45]؛ بيد أن هذا المقياس يبدو أنه لم يؤثر كثيرا في مكانة الشعراء ومنزلتهم، وإلا فكيف نفسر أن ابن سلاّم نفسه وضع امرأ القيس والأعشى في الطبقة الأولى الجاهلية، والفرزدق في الطبقة الأولى الإسلامية؟

ثانيا. الأسس والمقاييس النقدية في تصنيف الطبقات.

كان حديث ابن سلاّم في مقدمة كتابه تمهيدا لهدفه الأساس وهو ذكر "العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شُعَرائها"[46]؛ وتبعا لذلك وزع مصنفه إلى طبقات، فجاءت طبقات فحول الجاهلية عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء ومثلها طبقات فحول الإسلام، وبينهما طبقة أصحاب المراثي وهم أربعة شعراء، فطبقة شعراء القرى العربية وهم اثنان وعشرون شاعرا، ثم طبقة شعراء اليهود وهم ثمانية شعراء؛ فهم جميعا أربعة عشر ومائة شاعر.

واعتمد ابن سلاّم في أحكامه على آراء العلماء وأقوالهم، واستخلص منها مقاييسه النقدية التي جعلها مدار التفضيل بين الطبقات وبين الشعراء أنفسهم، كما أنه اهتدى بذوقه العلمي المثقف إلى بعض الآراء والأحكام غير المسبوقة؛ يقول: "فصَّلنا الشعراءَ من أهل الجاهليّةِ والإسلام، والمخَضْرَمين الذين كَانوا في الجاهليّةِ وأدركوا الإسلامَ، فنزَّلناهم منازلَهم، واحتجَجْنا لكلِّ شاعرٍ بما وَجَدْنا له من حُجَّة، وما قال فيه العلماء"[47].

إن مجيء الطبقات عشرا مرجعه إلى اقتصار ابن سلاّم على أربعين شاعرا من الفحول؛ يقول: "فاقتصرنَا من الفُحُول المشهورين على أربعين شاعراً"[48]. ويبدو أنه أراد بالطبقة جماعة من الشعراء الفحول تشابهت أشعارهم في بعض الأمور؛ يقول: "فألَّفْنا من تَشابه شعرُه منهم إلى نُظَرَائه"[49]. والتشابه هنا هو تشابه من حيث المنزلة الشعرية ودرجة الإجادة والتفوق، غير أنه يشمل معاني أخرى في بعض الأحيان، كالتشابه الذي اعتمده ابن سلاّم بين شعراء الموضوع الواحد، وجمعه لأصحاب المراثي في طبقة واحدة؛ والموازنة بين جرير والفرزدق في فن النقائض؛ ووضع عبد الله ابن قَيْس الرُّقَيَّات والأحْوَص وجَميل بن مَعْمَر ونُصَيْبا معا في الطبقة السادسة من فحول الإسلام لاشتراكهم في الغزل؛ والجمع بين الرجاز في فئة خاصة وتنزيلهم الطبقة التاسعة من فحول الإسلام...

وهدفَ ابن سلاّم في منهجه الذي رسمه في البداية إلى أن يحقق التوازن بين الشعراء في إطار طبقة واحدة تليق بمكانتهم الشعرية؛ ونبه إلى أن ترتيب الشعراء داخل الطبقة غير محدد، فهم جميعا سواء؛ يقول: "وليسَ تَبْدِئَتُنَا أحدَهُمْ في الكتاب نحكُمُ له، ولابُدَّ من مُبْتَدَإٍ"[50].

وهو عادة يستهل بذكر الشاعر ونسبه كاملا، ويذكر طرفا من حياته ليفسر في ضوئها إنتاجه الشعري، ثم يردف ذلك برأي العلماء فيه ويختار من شعره ما يؤكد رأيهم، ويوازن بين شعراء الطبقة الواحدة أو يفضل شاعرا على شاعر أو على كل الشعراء، وفي بعض الأحيان يشرح الكلمات الغريبة ويفسر الأشعار ويعلّق عليها.

ومن الجاهليين حظي امرؤ القيس بأعظم عناية منه، وأوفى ترجمة له؛ وكان أطول حديث خص به إسلاميا من نصيب فرسان القول الثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل.

ولابد لمن يطالع قسمة ابن سلاّم من أن يتساءل عن الأسس التي بنى عليها طبقاته والمقاييس التي أقام عليها هذا التمييز والتدريج؟

إن الفحولة هي الأساس الأول في هذا التقسيم، فكل من ذكرهم في كتابه شعراء فحول، ولكن الفحولة تتفاوت بين الشعراء، لذلك أصبحت عنده إطارا عاما يشمل المقاييس النقدية التي يتم بها التفضيل بينهم، وأضحى تمايز كل طبقة عن الأخرى راجعا إلى ما بينها من تباين واختلاف. أما أهم المقاييس التي راعاها ابن سلاّم في هذا التوزيع فنبيّنها فيما يأتي:

1- الزمن.

من أهم المقاييس النقدية التي بنى عليها ابن سلاّم كتابه مقياس الزمن، فقد قسم الشعراء حسب تسلسل زمني منظم، وجعل منهم مجموعتين: طبقة فحول الجاهليين وطبقة فحول الإسلام. ولا جرم أن هذا النهج له أهميته في الكشف عن التطور الحاصل في الشعر ونقده، وتبيّن سماته.

وصنيع ابن سلاّم في الطبقات دال على أنه يعد المخضرمين تارة في الجاهليين وتارة أخرى في الإسلاميين، فهو وإن لم يفردهم في طبقة خاصة، فهذا لا يعني أنه غيّبهم أو أقصاهم، بل عدّهم نسيج هذين العصرين؛ ففي الطبقة الثانية من فحول الجاهلية ذكر أوْس بن حَجَر وبِشْر بن أبي خَازم وهما جاهليان مع كعب بن زُهَيْر والحُطَيْئة وهما مخضرمان؛ والطبقة الثالثة كلها مخضرمون، والطبقة الخامسة والثامنة والتاسعة والعاشرة فيها الجاهلي وفيها المخضرم.

أما فيما يخص طبقات فحول الإسلام فذكر في الثالثة كَعْب بن جُعَيل ويقال إنه شهد الجاهلية، وعمرو بن أحمر وسُحَيْم بن وَثِيل وهما مخضرمان؛ وفي الرابعة حُمَيْد بن ثَوْر وهو مخضرم؛ وفي الخامسة أبا زُبَيْد الطَّائيّ وهو مخضرم.

2- الغرض الفني.

خص ابن سلاّم بالتصنيف فنا واحدا من بين سائر فنون الشعر وهو الرثاء، إذ جعل لأصحابه طبقة قائمة بذاتها، فكانوا أربعة هم: مُتَمِّم بن نُوَيْرة، وأعْشَى باهلة، وكعب بن سعد، والخَنْساء الشاعرة الوحيدة التي ترجم لها في كل

الطبقات، مما يعني أنها تخطت حاجز الفحولة وانضمت إلى قائمة الفحول الخاصة بالشعراء؛ يقول: "وصيَّرْنا أصْحَابَ المراثي طَبَقَةً بعد العَشْرِ"[51].

وقد فطن ابن سلاّم بذوقه السليم إلى أن هؤلاء الشعراء ليسوا كغيرهم، فهم مدفوعون إلى القول بعاطفة الصدق والوفاء، وقد جاءت أشعارهم دالة على معاني العاطفة الجياشة، يصدر فيها الشاعر عن قلب مكلوم وعن نفس تتلوى ألما وحسرة.

3. البيئة.

يُعد ابن سلاّم من أوائل النقاد العرب الذين أدركوا أثر البيئة[52] في الشعر والشعراء، إذ عقد فصلا خاصا بشعراء القرى العربية[53] حين أدرك بنظره الثاقب الفرق بين شعر البادية وشعر الحاضرة، وما يحدثه التحضر من تغير في الملكة الفنية.

وهو في هذا إنما يريد أن يقرر أن البيئات ليست كلها واحدة في إنتاج الشعر، فلكل بيئة خصائصها ومميزاتها التي تلوّن نفسية ساكنيها؛ فشعر الحواضر يُعبّر عن روح الحضارة الجديدة ويعكس نعومتها وذلك الترف والرخاء الذي كانت تنعم به، بينما نجد شعر البادية يصور الحياة البدوية وقساوتها وخشونتها.

واعتمد ابن سلاّم هذا التصنيف خاصة عندما وزع الشعراء الجاهليين والإسلاميين وقسمهم إلى طبقات، "نظر فوجد أن هناك شعراء لم يصبحوا شعراء للعرب كافة، بل ظلوا متصلين كل بقريته، وهم ما يمكن أن نسميهم بالشعراء الإقليميين، فجمعهم في باب شعراء القرى"[54].

وأشار ابن سلاّم إلى الطبقة السادسة من فحول الإسلام بأنها حجازية، وهذا تحديد مكاني؛ ولعل إلحاقه هذه الطبقة بطبقات فحول الإسلام وفصلها عن شعراء القرى العربية عائد إلى أن شعرها يلحق بشعر البادية ويتميز فنيا عن شعر القرى.

ونلحظ في الطبقات كذلك الوظيفة البارزة للظروف الاجتماعية والسياسية في إنتاج الشعر، فقد رأى ابن سلاّم أن للحرب أثرا في كثرة الشعر أو قلته؛ يقول: "وبالطَّائف شِعْرٌ وليس بالكثير، وإنما كان يَكْثُر الشِّعر بالحُرُوب التي تكون بين الأَحْياء، نحو حَرْب الأَوْسِ والخَزْرَج، أو قَوْم يُغِيرون ويُغَار عليهم. والذي قَلَّل شِعْرَ قُرَيْش أنه لم يكن بيْنَهُم نَائِرَةٌ، ولم يحاربوا؛ وذلك الذي قَلَّل شِعْر عُمَان"[55].

وما من شك في أن للأحوال السياسية والصراع بين الأحزاب والفرق والعصبية القبلية أثرا واضحا في تقديم جرير والفرزدق والأخطل على غيرهم من شعراء العصر الأموي.

4- الدين.

خص ابن سلاّم ثمانية من مشهوري شعراء اليهود بطبقة خاصة رغم حديثه عن شعراء المدينة في الطبقة السابقة، وهنا يبرز الدين بوصفه مقياسا عنده؛ إلا أن تخصيص هؤلاء الشعراء بطبقة خاصة يثير كثيرا من التساؤلات والاستفسارات، فليس في شعر هؤلاء الشعراء ما يسوغ وضعهم في طبقة واحدة، إذ لا وجود في شعرهم لما يشير إلى

انتمائهم الديني، فكل الموضوعات التي نظموا فيها من صميم الأحوال الجاهلية وقيمها التي نجدها عند معظم الشعراء؛ فما الذي جعل ابن سلاّم يعزل هؤلاء الشعراء في طبقة خاصة؟

الحقيقة أن ابن سلاّم حين تحدث عن شعراء المدينة وجد أن فيها شعراء يهودا فآثر أن يتحدث عنهم بشكل مستقل؛ يقول: "وفي يَهودِ المدينةِ وأكْنَافِها شِعْرٌ جيِّدٌ"[56]؛ وعقد لثمانية من أشهر شعرائها طبقة خاصة، وترجم لهم، وعرض لهم نماذج شعرية مهمة. وما يلاحظ في هذا الإطار أنه لم يُعن بتحديد منزلة أي شاعر منهم بين شعراء طبقته، أو منزلة هاته الطبقة بين الطبقات.

ويبقى السؤال الذي يثير نفسه في هذا المقام هو: لم خص ابن سلاّم في طبقاته البارعين في الرثاء وشعراء القرى وشعراء اليهود كلا في طبقة خاصة؟

إن ابن سلاّم قصد بدءا أن يؤلف الكتاب تبعا لمنهج معين ارتضاه: عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء من الجاهليين والإسلاميين، ثم وجد أن كتابه لم يضم شعراء لهم مكانة ومنزلة وشهرة لا يمكن التغاضي عنها، فخصهم بحديث خاص في طبقات خاصة ليجعل كتابه أكثر تمثيلا للأدب العربي على أيامه.

ثالثا. الأسس الفنية والجمالية في تحديد الطبقة.

لم يذكر ابن سلاّم في كتابه الأسس الفنية والجمالية التي اتخذها أساسا لإلحاق الشاعر بالفحول ووضعه في طبقة معينة؛ وإذا حاولنا تتبع بعض الإشارات القليلة والقصيرة المنبثة عبر الكتاب أمكننا استنباط جملة من المعايير النقدية التي اعتُمدت في تحديد الطبقة وشعرائها.

1- جودة الشعر وكثرته.

جعل ابن سلاّم الجودة أساسا للتقديم ومقياسا من المقاييس النقدية؛ قال: "فاحتجَّ لامرئ القيس من يُقَدِّمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبَقَ العربَ إلى أشياء ابتدعها، واسْتَحْسَنَتْهَا العربُ"[57]، ومعروف لدينا أن الاستحسان قائم على الجودة.

ووضع في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية طَرَفة بن العَبْد وعَبِيد بن الأبْرَص وعَلْقَمة بن عَبَدَة وعَدِيّ بن زَيْد، وذكر أن "موضعهم مع الأوائل، وإنما أخلَّ بهم قلَّة شِعْرهم بأيْدِي الرُّوَاة"[58]. ويقول في الطبقة السابعة من فحول الجاهلية: "أرْبعَةُ رَهْطٍ مُحْكِمُونَ مُقِلّون، وفي أشعارهم قِلَّةٌ، فذاك الذي أخَّرَهم"[59]؛ ويقول عن قُرَاد بن حَنَش: "وكان قَلِيلَ الشِّعْرِ جَيِّدَهُ"[60].

واهتمام ابن سلاّم بالكم ليس بمعزل عن الجودة، من هنا يتضح أن الشرط الأول عنده هو جودة الشعر مضافا إليها كثرته؛ فالشاعر المكثر المجيد عنده مقدم على الشاعر المقلّ المجيد؛ ولذلك وضع المخَبَّل السَّعْدِي في الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية؛ يقول: "وللمخبَّل شعرٌ كثيرٌ جيّدٌ"[61]. ويقول في مُتَمِّم بن نُويْرة: "بَكى مُتمِّمٌ مالكاً فأكثرَ وأجادَ"[62]، فإكثاره وإجادته هي التي جعلت ابن سلاّم يقدّمه على كل أصحاب المراثي؛ يقول: "والمقدَّم عندنا مُتَمِّم بن نُويْرة"[63]. والكثرة وحدها لم تقدم عَنْتَرة بن شَدَّاد[64] وعَمْرو بن شَأْس[65] وهُبَيْرَة بن أبي وَهْب[66] ...

2- ابتكار موضوعات وأساليب جديدة.

من أهم معايير الفحولة قدرة الشاعر على طَرْق موضوعات جديدة، وابتداع صور فنية تفتح أفق الإبداع أمام الشعراء الآخرين. ويُعد امرؤ القيس من أهم الشعراء في هذا الباب، له السبق في شعره إلى فتح أبواب وطرائق لم يكن للشعراء بها عهد؛ يقول ابن سلاّم: "فاحتجَّ لامرئ القيس من يُقَدِّمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبَقَ العربَ إلى أشياء ابتدعها، واسْتَحْسَنَتْهَا العربُ، واتّبعَتْه فيها الشعراء: استيقاف صحْبه، والتّبْكاءُ في الدّيار، ورقّةُ النَّسيبِ، وقُرْب المأخَذ، وشبَّه النّساء بالظِّباء والبَيْض، وشبّه الخَيْل بالعِقْبان والعِصِيّ، وقَيَّدَ الأوَابد، وأجاد في التشبيه، وفَصَل بين النّسيب وبيْن المعنَى"[67].

3- القصيدة الواحدة المتفوقة.

من أسباب تفضيل الشاعر وتقديمه: الإطالة والإجادة، وهي من المقاييس التي تبناها النقاد القدامى، وأقرها ابن سلاّم؛ يقول من انتصر للأعشى: كان "أكثرهم طويلةً جيدةً"[68]؛ ويقول عن شعراء الطبقة السادسة من فحول الجاهلية: "أربعةُ رهْطٍ لكلِّ واحدٍ منهم واحدةٌ"[69]؛ ويقول عن الأسود بن يَعْفُر: "وكان الأسْودُ شاعراً فحلاً... وله واحدةٌ رائِعةٌ طويلة، لاحقةٌ بأجْودِ الشعر، لو كان شَفَعها بمثلها قدَّمناه على مرتبته"[70].

4- الأغراض المتعددة.

يُقيم النقد العربي وزنا خاصا لأغراض بعينها، ومن أجاد فيها عُدَّ من الفحول المتفوقين؛ يُجيب الأسيدى ابن سلاّم: "بيُوتُ الشِّعر أربعة: فخرٌ، ومديحٌ، ونَسِيبٌ، وهِجَاءٌ، وفي كُلِّها غُلِّبَ جرير"[71]؛ وابن سلاّم يفضل جريرا على الفرزدق بناء على هذا المقياس، فعالم جرير الشعري واسع يضم عددا من الموضوعات التي لا يجيدها الشعراء الآخرون، أما الفرزدق فبقي مشدودا في قصائده إلى الفخر بعشيرته ومكانتها الرفيعة؛ يقول في الطبقات: "كانَ جريرٌ يُحْسِن ضُروباً من الشِّعر لا يُحْسِنُها الفَرَزْدَق"[72]. ويكشف وصف شعر الأعشى عن هذا الجانب كذلك، فـ "هو... أذهبُهم في فنون الشعر... وأكثرُهم مدحاً وهِجاءً وفَخْراً ووصفاً، كلُّ ذلك عنده"[73].

ويتضح أثر مقياس تعدد الأغراض في ما نراه من تسويغ وضع كُثَيِّر عزة في الطبقة الثانية من فحول الإسلام، وجَمِيل بن مَعْمَر في الطبقة السادسة، مع أن جميلاً مقَدم في التشبيب على كُثَيِّر وعلى أصحاب النسيب جميعا؛ يقول ابن سلاّم: "وكان لكُثَيِّرٍ في التَّشْبيب نَصِيبٌ وَافِرٌ، وجميلٌ مُقَدَّمٌ عليه وعلى أَصْحاب النَّسِيبِ جميعاً في النَّسيب، وله في فُنون الشِّعر ما ليس لجميل"[74].

كما أن شاعراً مثل ذي الرُّمَّة أتى في الطبقة الثانية من فحول الإسلام، لأنه بقي يتغنّى بالصحراء ولم يُجد موضوعات الشعر التي فضلها الذوق العام في ذلك العصر، وأجمع عليها العلماء[75]، رغم كونه "أحسن أهلِ الإسلامِ تَشْبِيهاً"[76]؛ فحين سأل ذو الرمة الفرزدق عن سبب عدم عدّه من الفحول، أجاب: "يمْنَعُك عن ذلك صِفَةُ الصَّحَارِي وأَبْعارُ الإبل"[77].

5- المذهب الخاص في غرض من الأغراض.

الغرض الشعري الخاص، وسبل معالجته واستقصائه من الأمور التي اتخذها ابن سلاّم مقياسا لتصنيف الشعراء والحكم على شعرهم بالجودة، إذ رأى أن بعض الشعراء متفوقون في طرائق تناولهم لأغراض معينة؛ ففي الهجاء يتفوق الشاعر الذي يكون هجاؤه شديد الإيجاع للمهجو؛ يقول ابن سلاّم: "ولقد هَجَا الرَّاعي فأوْجَعَ"[78]. وفي المديح يُؤثر الشاعر الذي يستقصي المعاني ويقدم صورة مثلى للممدوح؛ يقول: "ورأَيتُ ابنَ أبي حَفْصَة يُعْجِبُهُ مَذْهَبُه – أي كُثَيِّر – في المديح جِدّاً، يقول: كان يَسْتَقْصِي المديحَ"[79]. وفي الوصف يُفضل الشاعر الذي يجيد ويصيب، فـ "في حَديثِ أبي قَيْس العَنْبَرِيّ، عن عِكْرِمة بن جرير، حين سَأَلَ أباه عن الشُّعَراء، فقال في الأَخْطل: يُجِيدُ نَعْتَ المُلُوكِ، ويُصِيبُ صِفَةَ الخَمر"[80].

6- الطبع.

يشير مصطلح "الطبع" عند ابن سلاّم إلى الموهبة اللازمة للإبداع الفني والاستعداد الفطري له؛ ويكشف وصفه لشعر النابغة عن سمات فنية خاصة من جهة الطبع والبعد عن التكلف؛ يقول: "وقال من احتجَّ للنابغة: كان أحسنَهم دِيباجةَ شِعْر، وأكثَرهم رَوْنقَ كلامٍ، وأجزلَهم بَيْتاً، كأنّ شعره كلامٌ ليس فيه تكلُّف"[81].

7- البيت الناذر.

تكتنز الصياغة الموجزة كثيرا من المعنى وتصيب الهدف منها، ومن ثم تكثر شوارد الأبيات والأمثال السائرة التي تختزن التجارب في قليل من اللفظ، ولذلك كانت عناية ابن سلاّم بالأبيات المقلدة المشهورة التي لا نظير لها؛ فقد "كان الحُطَيْئة مَتِينَ الشعْر، شَرُود القافية"[82]؛ وكانت هذه الأبيات سببا في تقديم الفرزدق، فهو أكثر الثلاثة "بيتاً مقلَّداً. و'المقلَّد': البيتُ المسْتَغْنِي بنَفْسِه، المشهورُ الذي يُضْرَبُ به المثَل"[83]، ولذلك أيضا امتُدح الأخطل؛ قال ابن سلاّم: "سمعتُ سَلَمَة ابن عَيّاش يَقُول: تذاكَرْنا جريراً والفَرزْدقَ والأخطلَ، فقال قائل: مَنْ مثْلُ الأَخْطَل؟ إنَّ في كلِّ بيت له بَيْتَين"[84].

8- النظم على بحور مختلفة.

يبدو أمر العروض في الطبقات مطلبا ينبغي على الشاعر أن يأخذه في عين الاعتبار، وهو مقياس يلحظ قدرة الشاعر على النظم في أوزان مختلفة، وتبعا لهذا فُضل الأعشى فكان "أكثرُهم عَروضاً"[85]، ويعني هذا المعيار الصوتي أن الأعشى قادر على نظم الشعر في مجموعة واسعة من الأوزان.

9- كون الشاعر مُغَلَّبا.

يبين ابن سلاّم أثر هذا المقياس في تأخير الشاعر عن مرتبته؛ يقول عن أوْس بن حَجَر: "قال أبو عمرو بن العَلاء: كان أوْسٌ فَحْلَ مُضَر، حتى نشأ النابغةُ وزهيرٌ فأخْمَلاَهُ"[86]؛ ويقول عن الرّاعي النُّمَيْري: "وكانَ بَعْدَ هِجَاء جريرٍ لَهُ

مُغَلَّباً. قال رجُلٌ من قومِه، علاَّمةٌ وَراويةٌ فَصِيحٌ: كان فَحْلَ مُضَر حتَّى ضَغَمَه اللَّيْثُ! يعنِي جَريراً"[87]. ويقول عن البعيث: "وكان البَعيثُ شاعراً فاخِر الكلام حُرَّ اللَّفْظ، وقد غَلبَه جريرٌ وأخْمَلَه"[88].

هذا بالإضافة إلى معايير أخرى استند إليها ابن سلاّم في تحديد الطبقة؛ فمن أفراد الطبقة الأولى من فحول الجاهلية كان زُهَيْر بن أبي سُلْمى "أحْصَفَهُمْ شعراً، وأبعدَهم من سُخفٍ"[89]، وكان النابغة الذُبْيَاني أحسن أهل طبقته "دِيباجةَ شِعْر، وأكثَرهم رَوْنقَ كلامٍ"[90]؛ ومن أفراد الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية كان أبو ذُؤَيْب الهُذَليّ "شاعراً فحلاً، لا غَمِيزَةَ فيه ولا وَهْن"[91]، وكان الشَّمَّاخ بن ضِرار "شديدَ مُتُونِ الشِّعر، أشدَّ أسْر كلامٍ من لبيد، وفيه كَزَازَةٌ، ولبيدٌ أسهلُ منه مَنْطِقاً"[92]؛ وكان لبِيدُ بن رَبِيعة وهو من أفراد الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية "عذْبَ المَنْطِق، رَقيقَ حَوَاشِي الكلام"[93]؛ ومن أفراد الطبقة الثانية من فحول الإسلام "كان البَعيثُ شاعراً فاخِر الكلام حُرَّ اللَّفْظ"[94]، "وكان القُطَامِيُّ... رقيقَ الحَوَاشِي، حُلْوَ الشِّعْر"[95]؛ وكان عبد الله بن قَيْس الرُّقَيَّات وهو من أفراد الطبقة السادسة من فحول الإسلام "أشدَّ قُرَيشٍ أسْرَ شِعْرٍ في الإسلام بعد ابن الزِّبَعْرَى"[96]؛ وكان مُزَاحِم بن الحَارِث العُقَيْليّ وهو من أفراد الطبقة العاشرة من فحول الإسلام "شُجاعاً، وكان شَدِيدَ أسْرِ الشِّعْرِ حُلْوَه"[97].

وكثيرا ما نجد ابن سلاّم يأخذ برأي الجمهور، فقد وضع خِدَاش بن زُهَيْر في الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية، ونقل في تعليل ذلك رأيا لأبي عمرو بن العلاء يذهب فيه إلى أنه "أَشْعَر في قَرِيحة الشِّعْرِ من لبيد، وأبَى النَّاسُ إلاَّ تَقْدِمَةَ لَبيد"[98]؛ ويقول عن سُحَيْم بن وَثِيلٍ الرِّياحيّ وهو من شعراء الطبقة الثالثة من فحول الإسلام: "شَريفٌ مَشْهورُ الأمرِ في الجاهليَّةِ والإسْلام، جَيِّد الموضِع في قَوْمِه"[99]. وقد يكون للمنطقة الجغرافية أهمية في تقديم الشاعر أو تأخيره، يقول عن كُثَيِّر عزة وهو من شعراء الطبقة الثانية من فحول الإسلام: "شاعِر أهلِ الحِجاز، وإنّهم ليُقَدِّمونه على بَعْض من قَدَّمْنا عليه. وهو شاعرٌ فَحْلٌ، ولكنه مَنْقُوصٌ حظّه بالعِراق"[100].

رابعا. منهج ابن سلاّم في الرواية.

عالج ابن سلاّم قضية الشعر الموضوع انطلاقا من موقفين متكاملين: الموقف الأول نظري نستفيده من المقدمة النقدية التي وضعها لكتابه؛ والموقف الثاني تطبيقي جاء أثناء وقوفه عند طبقات الشعراء، إذ عمد إلى التأكد من صحة نسبة النص لقائله وصحة روايته وتحقيقه قبل دراسته؛ وهو ما يجعل دراسة منهجه من جانب رواية الأشعار والأخبار مطلبا جوهريا.

1- السنـد.

قبل أن نتطرق إلى دراسة سلسلة الإسناد في الطبقات، نشير إلى أن ابن سلاّم شارك بشكل مباشر في إسناد الخبر، إما من خلال بناء الخبر عن طريق إثارته للأسئلة، مثل: "سَأَلْتُ بَشَّاراً العقَيْلِيّ عَنِ الثَّلاثة..."[101]، و"سألتُ الأُسَيْدِيَّ عنهما فقال..."[102]، و"قلت ليونس **(سؤال)**"[103]، و"قلت لعمرو بن مُعاذ التيْميِّ..."[104]، و"ذاكرت مَرْوَانَ بن أبي حَفْصَةَ جريراً والفرزدَق..."[105]...؛ وإما من خلال ما يسجله سماعا أو مشافهة، مثل: "وشَهدْتُ خَلَفاً، فقيل

له..."[106]، و"سمعت أبي يسألُ يونسَ عن ابنِ إسحاقَ وعلمِهِ"[107]، و"قال: ومن أحسن ما سمعت... ما ذكروا..."[108]، أو بواسطة إجابته عما يسأل عنه، مثل: "قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: أيّ البيتين عندك أجود؟..."[109].

وأورد ابن سلاّم في روايته مجموعة من الأسانيد المتنوعة، يمكن إجمالها في الآتي:

أ- أصحه إسنادا ما اختلف رواته وأجمعوا عليه؛ قال ابن سلاّم في أبيات شعرية للمُسْتَوْغِر بن رَبِيعَة بن كَعْب: "أنشدَنيها يونس. وأنشدني له عَبْد الله بن مَيْمون المرّيّ..."[110].

وقال في قصيدة مدح بها أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْت عبدَ الله بن جُدْعَان التَّيْمِيَّ: "وأنشدَنيها أبو بكر بن محمَّد بن وَاسِعٍ السُّلَمِيّ: وأنْشدنيها أيضا أبو بَكْر، وذكرتُها لخَلَفٍ فعَرَفها"[111].

ب- النوع الثاني أقل درجة في الإسناد، إذ يكتفي ابن سلاّم برفع المتن إلى راو واحد يسوق بعده الشعر أو الخبر المقصود؛ وتتصدر هذه الأسانيد عبارات من مثل: "وقال يُونُس"[112]، و"أخبرني شُعَيْب بن صخر"[113]، و"أخبرني أبان بنُ عثمان البَجَليّ"[114]، و"أنشَدني له يُونُس"[115]، و"أنْشَدَنيها أبو الغَرَّاف"[116]، و"حدَّثني حاجبُ بن يزيد"[117]، و"أنشدني مُعَاوية"[118]، و"أنشدني له خَلفٌ الأحمرُ"[119]، و"أنشدني محمَّد بن الفَضْل الهَاشِمِيّ"[120] وغيرها كثير.

ج- أما النوع الثالث فضعيف الإسناد، ويكون إما إسنادا عاما؛ مثل: "ذكروا عن عُثْمان بن عفان..."[121]، و"يروَى أن قومَه قالوا في ذلك..."[122]، و"ذكروا أنه..."[123]، و"يرْوِي الناسُ لأبِي سُفيان بن الحارث..."[124]، و"قال قَوْمٌ..."[125]، و"يروى للفرزدق في ابن هُبَيْرة..."[126]، و"قيل لجرير..."[127]؛ وإما خاصا، مثل: "فاحتجّ لامرئ القيس من يُقَدِّمُهُ قال..."[128].

وفروع سلسلة الإسناد في الطبقات متعددة منها:

- السلسلة الثلاثية: وهي قليلة جدا في الكتاب؛ مثال ذلك:

قال ابن سلاّم: "وأخبرَني محمد بن سُلَيْمان، عن يَحْيَ بن سَعيد الأنصاريّ، عن سَعِيد بن المسَيَّب قال..."[129].

وقال أيضا: "وذكر عِيسَى بن عُمَر عن بعضِ أهل الطَّائف، عن أختِ أُميَّة بن أبي الصَّلْت، قالت..."[130].

- السلسلة الثنائية: وفيها يرفع الخبر بعد ابن سلاّم إلى شخصين، وهي كثيرة؛ منها:

"أخبرني يونس، عن أبي عمرو بن العلاء قال..."[131].

"أخبرني سَعيدُ بن عُبَيد، عن أبي عَوَانة أنه قال..."[132].

"أخبَرَني أبو قَيْسٍ العَنْبَريّ، عن عِكْرِمَة بن جَريرٍ..."[133].

- السلسلة الأحادية: وهي التي يرفع فيها الخبر بعد ابن سلاّم إلى شخص واحد؛ وهي كثيرة جدا، منها:

"قال يونس بن حبيب..."[134]، و"كان أبو عمرو بن العلاء يقول..."[135]، و"حدثني أبي سلاَّمٌ قال..."[136].

2- المتـن.

تحرى ابن سلاّم عند نقل المتون الدقة والضبط؛ يقول: "سمعتُ يونس وقد تمثَّل بهذا البيت:

أيُّها الشَّامِتُ المعَيِّر بالدَّهْرِ *** أَأَنْتَ المبرَّأُ المَوْفُورُ

أمْ لدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ من الأيَّامِ؟ بَلْ أنتَ جاهِلٌ مَغْرُورُ

فقال: لو تمنَّيتُ أن أقولَ شعراً ما تمنَّيتُ إلا هذه، أو قال: مثل هذه"[137].

وفي بعض الأحيان كان يعتمد مقابلة مختلف الروايات؛ يقول: "حدَّثني أَبَانُ بن عُثْمان – وهو قوْلُ ابن إسحاق – أنَّ أبَا عَزَّة أُسِرَ يوم أُحُد، فقال... فذكرت ذلك لابن جُعْدُبة فقال... فأخبرْت أبي – سلاَّما – بِقولِ ابن جُعْدُبة في أبي عَزَّة فقال:..."[138].

ومن مسالك ابن سلاّم في التدقيق الرجوع إلى الكتب المدونة، قال في قصيدة لأبي طالب مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم: "ورأيتُ في كتاب يُوسُف بن سَعْدٍ صاحِبنا مُنْذُ أكْثَرَ من مِائة سَنَة: وقد علمتُ أَنْ قَدْ زاد النَّاسُ فيها، ولا أدْرِي أيْنَ مُنْتَهاها"[139].

وكثيرا ما يعمد ابن سلاّم إلى معالجة النص داخليا، من خلال المقارنة بين النص الصحيح المعروف والنص المزيف؛ جاء في مقدمة الطبقات: "فمن قديم الشِّعرِ الصحيح قولُ العَنْبر بن عمرو بن تميم، وكان جاورَ في بَهْرَاء فرابه ريب فقال:

قَدْ رَابني مِنْ دَلْوَى اضْطِرَابُهَا *** والنَّأْيُ في بَهْرَاءَ واغترَابُهَا

إن لاَّ تَجِيءْ مَلْأَى يَجِيءْ قِرَابُها

وقد قال قوم إنّه كانَ من بَهْرَاءَ، فجاوَر عَمْرو بن تميم، وأنه قال:

قَدْ رَابني مِنْ دَلْوِيَ اضْطِرَابُهَا *** والنَّأْيُ عن بَهْرَاءَ واغترَابُهَا

ولا نرى ذلك كما قالوا، بل هو ما ذكر: العنبر بن عمرو بن تميم"[140].

ومن خصائص ابن سلاّم أيضا تقديم الأدلة التاريخية الدامغة على فساد سند النص المزيّف، ومن ثَم فساد متنه؛ جاء في الطبقات: "وقد رُوِي لعبّاس بن مِرْداس السُّلَميّ بيتٌ في عدنان، قال:

وعكٌّ بنُ عدنانَ الذين تلعَّبُوا *** بِمَذْحِجَ، حتى طُرِّدوا كل مَطْرَدِ

والبيت مُرِيبٌ عند أبي عبد الله[141]* – فما فوقَ عدنان، أسماءٌ لم تؤخذ إلاّ عن الكتب، والله أعلم بها، لم يذكرها عربيٌّ قطُّ"[142].

إن فكرة تنزيل الشعراء ضمن طبقات استلزمت من ابن سلاّم الجمحيّ مادة أولى تكونت من عنصرين أساسين: النص الشعري والخبر الأدبي، ولا ريب في أنه متأثر في طريقة معالجته لهما برواة الحديث الذين وضعوا لروايتهم منهجا صارما لتمييز الصحيح من الضعيف.

وحدد صالح آزوكاي في دراسةٍ لابن سلام "مظاهر التواصل العلمي بين العلم بالشعر وعلم الحديث" المؤشرات الدالة على ذلك، ويمكن إجمالها في الآتي:

أ. المؤشر الثقافي: صلة ابن سلاّم المباشرة برواية الحديث حملا وأداء.

ب. المؤشر المصطلحي: في كتاب "الطبقات" مصطلحات تُدُوولت أصلا في علم الحديث، ومن نماذجها المعبرة: الطبقة، والرواية، والحمل، والأداء، والوضع، والنحل...

ج. مؤشر منهجي: إن من يتأمل سلوك ابن سلاّم – والعلماء بالشعر بوجه عام– في مجال توثيق الشعر، يجد أنه سلوك أشبه ما يكون بسلوك المحدِّثين في توثيق الحديث، وقد بدا لنا أنه سلك مسلكهم ونهج منهجهم في ثلاثة مجالات: 1– توثيق مصدر الأخذ، 2– التعديل والتجريح، 3– نقد السند ونقد المتن[143].

خامسا. بعض إشكالات الكتاب.

إن كتاب ابن سلاّم على فضله لا يخلو من بعض الهفوات والمآخذ شأنه في ذلك شأن كل كتاب يمثل المحاولة الأولى الجادة في كل علم وفن. وسأحاول التطرق لبعض منها بشكل مركز ودقيق.

– أغفل ابن سلاّم في طبقاته ذكر بعض كبار الشعراء من أمثال عمر بن أبي ربيعة، والكميت بن زيد الأسدي، والطرماح بن الحكيم، وبشار بن برد، ومروان بن أبي حفصة، وأبي نواس، ومسلم بن الوليد، وأبي العتاهية وغيرهم ممن تبلورت أقوال العلماء فيهم.

– عمد ابن سلاّم في تقديمه وتأخيره بعض الشعراء إلى أسس غامضة إذ نراه يقدم في الطبقة بعض من لا يستحق التقديم ويؤخر بعض من يستحقه، دون أن يعلل ذلك؛ فمثلا وضع في الطبقة السادسة من فحول الجاهلية: عمرو بن كلثوم، والحارث بن حِلِّزَة، وعَنْتَرة بن شَدَّاد، وسُوَيْد بن أبي كاهل، في حين وضع في الطبقة الخامسة من هم أقل شهرة ومنزلة[144]. والشيء نفسه نلاحظه حين وضع في الطبقة السادسة من فحول الإسلام: عبد الله بن قَيْس الرُّقَيَّات، والأحْوَص الأنصاري، وجَميل بن مَعْمَر، ونُصَيْبا، في حين وضع في الرابعة والخامسة من دونهم منزلة[145].

– نص ابن سلاّم في مقدمته أن لا فرق بين أصحاب الطبقة الواحدة في المنزلة وإنما ابتدأ بأحدهم لأنه كان لابد من مبتدإ؛ إلا أننا لا يمكننا التسليم بهذا في جميع الحالات فهو قدم امرأ القيس على الأعشى منحازا إلى مدرسة البصرة.

– وضع ابن سلاّم في الطبقة الأولى من فحول الإسلام إلى جانب جرير والفرزدق والأخطل "الراعي" وهو عند العلماء لا يداني منزلة فرسان القول الثلاثة، وإنما أدرجه ابن سلاّم لاستكمال العدد الرباعي[146]؛ كما أن التشابه بين الشعراء قد يتجاوز الأربعة، لكن اقتصار الطبقة على أربعة شعراء قد يكون سببا في عدم إدراج بعضهم في إحدى الطبقات؛ يقول ابن سلاّم عن أوْس بن حَجَر وقد وضعه على رأس الطبقة الثانية من فحول الجاهليين: "وأَوْسٌ نظيرُ الأَربعة المتقدِّمين، إلاَّ أنَّا اقتصرنا في الطَّبقات على أربعةِ رَهْطٍ"[147].

وهذا الأمر مرده إلى قسمته الرباعية التي ضيقت عليه كثيرا، ولم تتوافق مع الخصائص الفنية والكفاءة الشاعرية. ويرى طه أحمد إبراهيم "أن المصادفة في أن تتكون الطبقة الأولى الجاهلية من أربعة شعراء حملت المؤلف على أن تكون كل طبقة تالية لها مؤلفة من رجال أربعة. وإذا صحَّ هذا التعليل فلا ندري ما السر في أنه جعل عدة الطبقات من هؤلاء وأولئك عشراً"[148].

– وضع ابن سلاّم في الطبقة الثامنة من فحول الإسلام بَشَامة بن الغَدِير وقُراد بن حَنَش، وهما شاعران جاهليان لم يدركا الإسلام فيما يُعرف[149]؛ وليس بين أيدينا تعليل لهذا الخلط سوى كون هذه الطبقة تشمل شعراء جميعهم من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، وذلك واضح في ذكر نسب كل شاعر[150].

– إن اعتبار الكم بوصفه مقياسا نقديا في إنزال الشعراء منازلهم عند ابن سلاّم لا يمكن التسليم به في جميع الحالات، فهو قد التزمه حينا وتركه حينا آخر، ودليل ذلك أنه وضع كعب بن زُهَيْر في الطبقة الثانية من الجاهليين وليس له قصائد مشهورة اللهم إلا "بانت سعاد"[151]. كما أنه وضع لَبِيد بن رَبيعة في الثالثة وطَرَفة بن العَبْد في الرابعة من الجاهليين مع أن لهما قصائد جيادا كثيرة[152].

كانت هذه بعض هفوات ابن سلاّم في كتابه، والذي دفعنا إلى هذه التأويلات والتفسيرات أنه لم يحدد بشكل دقيق المعايير والأسس التي اعتمدها لإدراج الشعراء ضمن الطبقات، ولو كان فعل ذلك، لما تعرض كتابه لكل هذه التأويلات.

سادسا. القيمة النقدية للكتاب.

من الحق علينا أن نقرر ما لكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم الجمحيّ من قيمة نقدية بالغة، فهو زبدة الإنتاج النقدي لمؤلفه، هذب فيه النقد وحفظ أفكاره التي عكست ملامحه في تلك المرحلة المبكرة من حياته، كما أنه عالج في ثناياه العديد من القضايا الأدبية والنقدية تنظيرا وتطبيقا، واختار من عيون الشعر الجاهلي والإسلامي ما يمكن عده إرثا أدبيا قيما.

وخلاصة القول: يظل كتاب الطبقات من أهم كتب النقد الأدبي عند العرب على الرغم من المآخذ التي أخذت عليه، ويكفيه أنه أقدم محاولة للتبويب والتنظيم المنهجي الذي يخضع لقواعد وأسس متينة، فيه كثير من الآراء النقدية التي انتفع بها كبار النقاد بعده. من هنا كان الكتاب ثروة نقدية مهمة، ولبنة لا يمكن غض الطرف عنها في تاريخ النقد الأدبي العربي، ينبغي الاهتمام به، وإعطاؤه المكانة التي يستحقها.

المصادر والمراجع[153].

– **القرآن الكريم** برواية ورش عن نافع.

– أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالنديم (380هـ). الفهرست. تحقيق يوسف علي طويل؛ وضع فهارسه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان؛ الطبعة الثالثة 2010.

– ابن سلام الجمحي (139–231هـ). طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمود محمد شاكر. دار المدني – جدة، السفر الأول والثاني.

– صالح آزوكاي. بعض مظاهر التواصل العلمي بين "العلم بالشعر" وعلم الحديث (محمد بن سلام الجمحي نموذجا). دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، العدد الرابع خاص بندوة مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية، 1426هـ – 2005م.

– طه أحمد إبراهيم. تاريخ النقد الأدبي عند العرب (من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري). دار الحكمة، بيروت – لبنان.

– محمد مندور. النقد المنهجي عند العرب. دار النهضة مصر للطبع والنشر الفجالة القاهرة.
– ياقوت الحموي الرومي. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1993. الجزء السادس.

الهوامش:

[1]– أنظر: ياقوت الحموي الرومي. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1993. الجزء السادس، الصفحة: 2540؛ و ابن سلاّم الجمحيّ (139–231هـ). طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمود محمد شاكر. دار المدني – جدة. الجزء الأول، مقدمة المحقق، ص: 34 – 35.

[2]– ياقوت الحموي. معجم الأدباء. ج 6، ص: 2541.

[3]– أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالنديم (380هـ). الفهرست. تحقيق يوسف علي طويل؛ وضع فهارسه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان؛ الطبعة الثالثة 2010. ص: 181.

[4]– أنظر: ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، مقدمة المحقق، ص: 35 و 37.

[5]– النديم. الفهرست. ص: 181.

[6]– ياقوت الحموي. معجم الأدباء. ج 6، ص: 2541.

[7]– الوضع هو أن يَنظم شخص قصيدة ثم يضعها على اسم شاعر لم يقل ذلك الشعر. والنحل هو أن يعمد شخص إلى قصيدة لشاعر وينسبها إلى شاعر آخر. أما الانتحال فهو ادعاء شعر الغير، وهو أن يأتي شاعر ويسطو على قصيدة لشاعر آخر وينسبها لنفسه. وهي كلها ظواهر أدبية عامة لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم، ولا يختص بها جيل من الناس دون غيره من الأجيال.

[8]– ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، مقدمة الكتاب، ص: 24.

[9]– نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 25.

[10]– ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، المقدمة، ص: 26.

[11]– نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 4.

[12]– نفسه. ج 1، ص: 215.

[13]– نفسه. ج 1، ص: 244.

[14]– نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 25.

[15]– نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 46 – 47.

[16]– نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 7 – 8.

[17]*– سورة الأنعام؛ الآية: 45.

[18]*– سورة النجم؛ الآية: 50 –51.

[19]*– سورة الحاقة؛ الآية: 8.

[20]*– سورة الفرقان؛ الآية: 38.

[21]*– سورة إبراهيم؛ الآية: 9.

[22]– ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، المقدمة؛ ص: 8 – 9.

[23]– نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 48.

[24]– نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 48.

[25]– نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 47 – 48.

[26]– نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 7.

[27]- نفسه. ج 1، ص: 140.

[28]- نفسه. ج 2، ص: 733.

[29]- أنظر: الكتاب نفسه. ج 1، مقدمة المحقق. ص: 35 - 36 - 37.

[30]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 5.

[31]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 6 - 7.

[32]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 7.

[33]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 26.

[34]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 40.

[35]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 39.

[36]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 40.

[37]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 40.

[38]- جاء في الطبقات: "قال امرؤ القيس:

عُوجا على الطّلَل المحِيل لَعَلَّنا *** نَبْكي الدِّيارَ كما بَكَى ابنُ حِذامِ

وهو رجل من طيء لم نَسْمَع شعرَه الذي بكَى فيه، ولا شِعْراً غيرَ هذا البيت الذي ذكره امرؤ القيس". ج 1، المقدمة، ص: 39.

[39]- ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، المقدمة، ص: 12 - 13 - 14 - 15.

[40]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 12.

[41]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 15.

[42]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 22.

[43]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 41.

[44]- أنظر: ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، المقدمة، ص: 41 - 42 - 43.

[45]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 44.

[46]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 3.

[47]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 23 - 24.

[48]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 24.

[49]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 24.

[50]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 50.

[51]- نفسه. ج 1، ص: 203.

[52]- يُقصد بالبيئة هنا مجموع العوامل الطبيعية والسياسية والاجتماعية التي تحيط بالشاعر وتؤثر في إنتاجه الشعري.

[53]- وهي خمسٌ: المدينةُ: خمسة شعراء، ومكَّةُ: تسعة شعراء، والطائفُ: خمسة شعراء، والبَحْرَين: ثلاثة شعراء؛ أما شعراء اليَمامة فقال عنهم: "ولاَ أعرِف باليَمَامَة شَاعراً مَذْكُوراً"[(1*)]؛ "وأشعرُهُن قَرْيةً المدينةُ" [(2*)].

(1*) ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، ص: 277.

(2*) نفسه. ج 1، ص: 215.

[54]- محمد مندور. النقد المنهجي عند العرب. دار نهضة - مصر، 1996م. ص: 13.

[55]- ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، ص: 259.

[56]- نفسه. ج 1، ص: 279.

[57]- نفسه. ج 1، ص: 55.

[58]- نفسه. ج 1، ص: 137.
[59]- نفسه. ج 1، ص: 155.
[60]- نفسه. ج 2، ص: 733.
[61]- نفسه. ج 1، ص: 150.
[62]- نفسه. ج 1، ص: 209.
[63]- نفسه. ج 1، ص: 204.
[64]- أنظر الكتاب نفسه. ج 1، ص: 152.
[65]- أنظر الكتاب نفسه. ج 1، ص: 196.
[66]- أنظر الكتاب نفسه. ج 1، ص: 257.
[67]- نفسه. ج 1، ص: 55.
[68]- نفسه. ج 1، ص: 65.
[69]- نفسه. ج 1، ص: 151.
[70]- نفسه. ج 1، ص: 147.
[71]- نفسه. ج 2، ص: 379.
[72]- نفسه. ج 2، ص: 374.
[73]- نفسه. ج 1، ص: 65.
[74]- ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 2، ص: 545.
[75]- يقول ابن سلاّم عن ذي الرُّمَّة: "لم يكن له حظٌّ في الهِجَاءِ". طبقات فحول الشعراء. ج 2، ص: 551.
[76]- ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 2، ص: 549.
[77]- نفسه. ج 2، ص: 552.
[78]- نفسه. ج 2، ص: 503.
[79]- نفسه. ج 2، ص: 540.
[80]- نفسه. ج 2، ص: 487 - 488.
[81]- نفسه. ج 1، ص: 53.
[82]- نفسه. ج 1، ص: 104.
[83]- نفسه. ج 2، ص: 360 - 361.
[84]- نفسه. ج 2، ص: 488.
[85]- نفسه. ج 1، ص: 65.
[86]- نفسه. ج 1، ص: 97.
[87]- نفسه. ج 2، ص: 503.
[88]- نفسه. ج 2، ص: 535.
[89]- نفسه. ج 1، ص: 64.
[90]- نفسه. ج 1، ص: 56.
[91]- نفسه. ج 1، ص: 131.
[92]- نفسه. ج 1، ص: 132.
[93]- نفسه. ج 1، ص: 135.

[94]- نفسه. ج 2، ص: 535.
[95]- نفسه. ج 2، ص: 535.
[96]- نفسه. ج 2، ص: 648.
[97]- نفسه. ج 2، ص: 770.
[98]- نفسه. ج 1، ص: 144.
[99]- نفسه. ج 2، ص: 576.
[100]- نفسه. ج 2، ص: 540.
[101]- نفسه. ج 2، ص: 374.
[102]- نفسه. ج 2، ص: 378.
[103]- نفسه. ج 1، ص: 71.
[104]- نفسه. ج 1، ص: 98.
[105]- نفسه. ج 2، ص: 377 - 378.
[106]- نفسه. ج 1، ص: 65.
[107]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 15.
[108]- نفسه. ج 1، ص: 208.
[109]- نفسه. ج 2، ص: 494.
[110]- ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، المقدمة، ص: 34.
[111]- نفسه. ج 1، ص: 265.
[112]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 44.
[113]- نفسه. ج 1، ص: 54.
[114]- نفسه. ج 1، ص: 54.
[115]- نفسه. ج 2، ص: 343.
[116]- نفسه. ج 2، ص: 349.
[117]- نفسه. ج 2، ص: 397.
[118]- نفسه. ج 2، ص: 417.
[119]- نفسه. ج 2، ص: 433.
[120]- نفسه. ج 2، ص: 454.
[121]- نفسه. ج 1، ص: 187.
[122]- نفسه. ج 1، ص: 222.
[123]- نفسه. ج 1، ص: 227.
[124]- نفسه. ج 1، ص: 249.
[125]- نفسه. ج 2، ص: 342.
[126]- نفسه. ج 2، ص: 342.
[127]- نفسه. ج 2، ص: 435.
[128]- نفسه. ج 1، ص: 55.
[129]- نفسه. ج 1، ص: 99.

[130]- نفسه. ج 1، ص: 265 - 266.

[131]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 9.

[132]- نفسه. ج 1، ص: 62.

[133]- نفسه. ج 2، ص: 299.

[134]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 9.

[135]- نفسه. ج 1، ص: 66.

[136]- نفسه. ج 2، ص: 700.

[137]- نفسه. ج 1، ص: 141.

[138]- نفسه. ج 1، ص: 255.

[139]- نفسه. ج 1، ص: 244 - 245.

[140]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 26 - 27.

[141]*- "أبو عبد الله يعني ابن سلام، وهذا كلام أبي خليفة راوي الطبقات". ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، المقدمة، الإحالة رقم 1، ص: 11.

[142]- نفسه. ج 1، المقدمة، ص: 10 - 11.

[143]- أنظر: صالح آزوكاي. بعض مظاهر التواصل العلمي بين "العلم بالشعر" وعلم الحديث (محمد بن سلاّم الجمحيّ نموذجا). دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، العدد الرابع خاص بندوة مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية، 1426هـ - 2005م. ص: 353 وما بعدها.

[144]- وضع ابن سلاّم في الطبقة الخامسة: خِدَاش بن زُهَيْر، والأسْود بن يَعْفُر، والمخَبَّل السعدي، وتَمِيم بن أُبَيّ بن مُقْبِل.

[145]- وضع ابن سلاّم في الطبقة الرابعة: نَهْشَل بن حَرِّيّ، وحُمَيْد بن ثَوْر، والأَشْهَب بن رُمَيْلة، وعُمَر بن لَجَأ التَّيْمِيّ؛ ووضع في الخامسة: أبا زُبَيْد الطائيّ، والعُجَيْر السَّلُوليّ، وعبد الله بن هَمَّام السَّلوليّ، ونُفَيْع بن لَقِيط الأَسَديّ.

[146]- يقول ابن سلاّم: "فاختلَف الناسُ فيهم أَشدَّ الاختِلاف وأكثرَه. وعَامَّةُ الاختلافِ، أَو كُلُّه، في الثَّلاثة. ومن خالفَ في الرَّاعي قليلٌ، كأنّه آخِرهم عند العامَّة". طبقات فحول الشعراء. ج 2، ص: 299.

[147]- ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 1، ص: 97.

[148]- طه أحمد إبراهيم. تاريخ النقد الأدبي عند العرب (من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري). دار الحكمة، بيروت - لبنان. ص: 83.

[149]- حاول محمود محمد شاكر تفسير هذا الأمر بالقول: "لعلّ ابن سلاّم عدّهما من المخضرمين لخبر بلغه عن إدراكهما الإسلام، وإن لم يسلما". طبقات فحول الشعراء. ج 1، مقدمة المحقق، ص: 65.

[150]- أنظر: ابن سلاّم الجمحيّ. طبقات فحول الشعراء. ج 2، ص: 709.

[151]- أنظر الكتاب نفسه. ج 1، ص: 99 وما بعدها.

[152]- يقول ابن سلاّم عن لبيد بن ربيعة: "وكان في الجاهلية خيرَ شاعرٍ لقومه: يمدحُهم، ويرْثيهم، ويَعُدُّ أيامَهم وَوَقائعهم وفُرْسانهم". طبقات فحول الشعراء. ج 1، ص: 136.

ويقول عن طرفة بن العبد: "فأمَّا طَرَفَةُ فأشْعَرُ النَّاس واحدةً، وهي قوله:

لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمُدِ *** وَقَفْت بها أبْكي وأُبكِي إلى الغَدِ

وتَليها أُخْرَى مثلُها وهي:

أصَحَوْتَ اليومَ أم شَاقَتْك هِرّ *** ومن الحُبّ جُنُونٌ مُسْتَعِرّ

ومِنْ بعدُ له قَصَائد حِسانٌ جِيَادٌ". نفسه. ج 1، ص: 138.

[153]- اقتصرنا ها هنا على ذكر المراجع التي أُحيل عليها في الهامش فقط؛ وهذا لا ينفي أنه تمّت الاستفادة من مراجع عدة درست الكتاب أو عالجت جانبا من جوانب الموضوع.